الكتاب السادس من سلسلة "بدمائهم نصحوا"

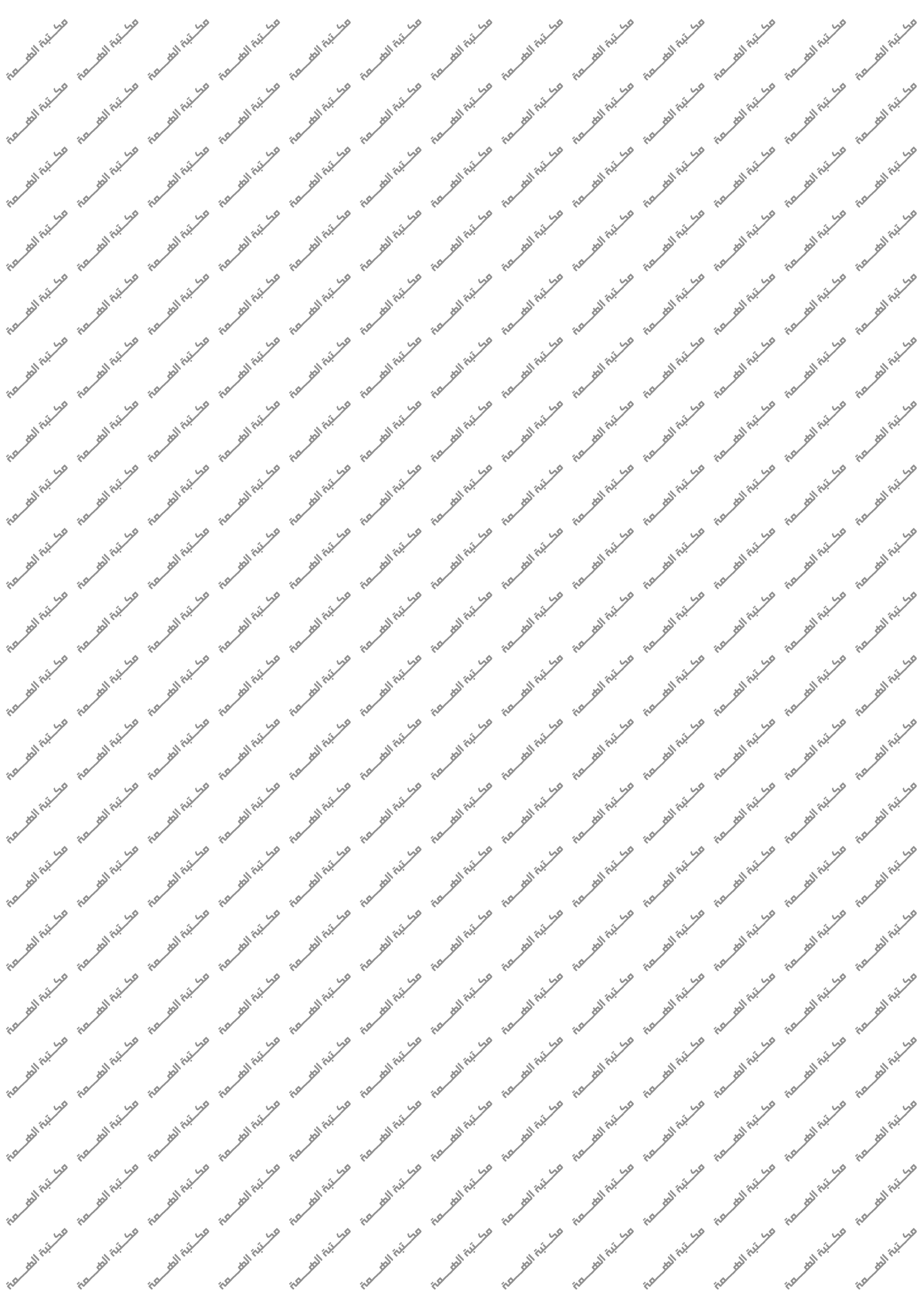


"الضرورة الملحة "

جمع وتحقيق، مكتبة الهمة بدولة العراق الإسلامية

الناشر:





لماذا الجهاد؟

"الضرورة الملحة"

أبو الحسن الفلسطيني

رحمه الله

المسئول الشرعي بتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين

الكتاب السّادس في سلسلة

"بدمائهم نصحوا"

نُشرت بالتنسيق مع مكتبة

(الهمّة)

بدولة العراق الإسلامية

تمهيد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

تساؤلاتٌ كثيرةٌ تخاطر أفهام الناس في زماننا حول شرعية الجهاد وأهدافه وغاياته ومسوغاته، وفي هذا الزمان دون غيره تصبح هذه التساؤلات استغراباتٍ متوجسةً مستنكرةً لكل صيحةٍ تدعو للقتال، تسعى حثيثةً في تثبيط وتعويق حركات الإسلام التي تنتهج الجهاد سبيلاً في تحقيق دينها وشرع ربها، حتى باتت تلك الاستغرابات نشازًا من القول يقع على الآذان فيُصيبها بقرقعةٍ مزعجةٍ، فإذا لامس الحس ترك فيه ألماً وارتياباً لا تخفيه الفطرُ السليمةُ والنفوسُ الأبية المجاهدة.

سيقال (بغرابةٍ واندهاش): لماذا تكثر دعوات الجماعات المقاتلة التي تحمل السلاح وتنتهج العنف، وتفتح طريقاً من الدماء لا يلوح في أفقه نهاية ولا سد؟.

وسيقال (بغرابةٍ وانزعاج): لماذا تعلو كلمات المقاتلين عن دينهم فوق كلمات غيرهم، وتصبح بياناتهم ونداءاتهم ذات صدى متزايد يلف الأسماع بهيبته وخشوعه؟.

وسيقال (بصوتٍ عالميٍّ متشنج): لماذا الحرب؟ لماذا الاقتتال؟ ودعوات السلام ينادى بها من منابر الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والمؤسسات والأحزاب السلمية، وكلها تبذل جهوداً ساميةً في إحلال السلام العالميّ والابتعاد بالعالم الجميل عن أذى الحرب ولحظاته الكالحة المظلمة.

وسيقال (بحيرةٍ واضطراب): ماذا يريد الإرهاب؟ وما هي دوافعه؟ وما هي مستنداته؟ ومن أين جاء؟ وإلى أين وجهته؟.

وسيقول المثبطون المعوقون: من أذن لكم بالجهاد؟، ومن أفتاكم به؟، ومن قال بأن وقت الجهاد قد حان؟، فهل أقمتم التوحيد أولاً وربيتم الناس على الإسلام الصحيح؟، وهل دعوتم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؟، وهل كففتم عن منابذة الطواغيت بدعواتكم الجريئة التي تجر معها فتناً مرعبةً (بزعمهم)؟.

ثم لا تسكن تلك المشاعر ولا تهدأ في نفوس أصحابها، وقد تركت خلفها إصراراً وفضولاً يدعو لمِعرفة أصحاب الأعمال العنيفة الدموية والدعوات الجريئة المتمردة، في إحساسٍ يتراوح بين الغرابة أو الإعجاب.. أو التقدير.. أو السخط.. أو التململ.. أو النفور.. أو الفرح.....!!.

هكذا تُلقي التساؤلاتُ بنفسها في واقع الناس، وهذا ما تلهج به ألسنتهم، وتحاكيه وسائل إعلامهم، تساؤلاتٌ تلو التساؤلات واستغراباتٌ تلو الاستغربات، كلها تُلقي الأضواء وتشد الأنظار إلى كائنٍ شديدِ التألقِ والتوهجِ، كائن غريب! فرض نفسه في الواقع العالمي الحديث، واقتحم غمرةَ المعادلات الدولية الصعبة، وأصبح رقماً تتأرجح له أطراف الحسابات والموازنات، تعقد له المؤتمرات، وتتناوله النشرات

والدوريات، وتتحدث عنه الوكالات والفضائيات، وتشن لأجله المعارك والحروب، وتنقلب به موازين وتوضع موازين، إنه هاجس العصر وكابوس الكفر.... حرفةُ أولياءِ هذا الزمان وصنعتُهم التي لا يُجاريهم بها أحدٌ من الخلق!!.

إنـّه الجِــهَاد !

وإن شئت فهو بمصطلح العالم المتخبط.. الإرهاب....!.

هو ذاك السبيل الذي تزاحمت عليه صفوةٌ من البشر، امتازت وتمايزت، وخَلُصَت وتخلَّصت. عندما كان العالم يستعدُّ لزمانٍ من الهدوء والرقاد المريح كانت الصفوة تتهيأ لميادينَ من العمل الشاقِّ الدؤوب، وعندما كان العالم ينادي بالسلام الكاذب المكذوب ويلمعه بالزخرف من القول، كانت الصفوة تستعلي بصرخاتها الجهادية المقاتلة تشق بها حجب إفك السلام المزعوم... تهدهده تزلزله... تتوعده..! وعندما كان العالم في وادٍ سحيقٍ من المتاع والرفاهية المقعدة والهمم الدنيئة المتوجسة من أدنى بذل وعطاء، كانت الصفوة ترسم بتضحياتها وإنجازاتها لوحةً رائعةَ الملامح، تثير مكامن الإعجاب والتقدير في قلوب وعيون كثير من الناس حتى من أعدائها المحاربين لها! كما أنها في الوجه المقابل أثارت كماً لا يخفى من الغرابة والتساؤلات!.

الأدوات الأكثر رواجاً في التعامل مع هذا الكائن العجيب هي أدوات الاستفهام! لماذا؟ وكيف؟ وما؟ ومن؟ ومتى وأين؟.

هذه الأدوات التي تفصح عن مدى الغموض الذي يعتري عمل الصفوة الجهادية، وبتعبيرٍ أصحّ كم يُراد لهذه الصفوة أن تبقى غامضةً مستورةً، لا تراها العيون ولا

تسمع صوتها الآذان!.

والمشاهد أن الاستفهامات تكثر عندما يعلن أهل الجهاد عملهم القتالي ويشرعون في تنفيذ برامجهم الواقعية، فيخرجون من رحم التنظير إلى دنيا الحركة والترجمة العملية لمنهجهم، ويبدأ نزالهم الحقيقي في إثبات صدق دعوتهم وتحقيق مسائل نظرياتهم، فوقتها يشتد التساؤل والاستفهام عن منظور الصفوة الذي تُدير من خلاله المعركة، وعن حقيقة التصور والفهم الذي يدفع هذه الصفوة أو تلك لخوض هذا الغمار الملتهب في هذا العرض التاريخي المثير؟.

عندها يحق من جديد أن تقول لماذا؟؟.

هو ما أردناه في هذه الصفحات، بيانٌ للشيء الذي غفل وتغافل عنه العالم لحقائق الصراعات الكونية وجذور التدافعات العالمية في هذا المشهد المحتدم عبر هذه اللحظات من التاريخ.

وحتى لا تنقلب ورقاتنا إلى منتدىً سياسي أو رواقٍ تاريخي، وددنا أن نبسط القول ونضع الإجابة مسهبةً ببيان الوحي المنزّل الذي تنطق به كل صفوةٍ حملت حمل التوحيد والجهاد، وارتضت مسلكهما تديناً وشريعة، فعليه تكون الإجابة بياناً لتصورنا الشرعي الديني لواقعنا وواقع العالم وما يلمُّ به من أحداث عظام وفقاً لاعتقادنا بأصول الإسلام العظيم ومبادئ تشريعه وأحكامه ومناط حقوقه وواجباته، وما يحتِّم علينا هذا التصور من أعمالٍ وتكاليفَ في دائرة وسعنا واختيارنا.

لذا نقول: إن جهادنا المشهود اليوم هو التجلي الكبير لسنن الحياة البارزة التي

يتعلق بها انتظام الكون واتزانه، وهو الانعكاس الطبعي والفطري لضرورات الحياة التي تمدها بالبقاء، ولولا هذه الضرورات لهلكت الأرض ومادت السماوات وفسد الكون، ولهذا أراد الله للكون والحياة أن تسير وفق سننٍ منضبطةٍ ومعروفةٍ {**لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**}، و {**يَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**}، والسنن التي ندرك جميعاً أنها أشد تأثيراً في الكون والحياة والتي تأخذ الحظ الأوفر في وضع الأمور في نصابها أو تحرفها عما أعد لها في الخلق والتدبير، هي سنن الصراع والاقتتال، وسنن الدفع والعراك، وسنن القوة والغلبة، وسنن السلطة والقيادة وفي هذا خبر نبينا عليه الصلاة والسلام في أن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، فعلى مدار هذه السنن تقوم كثيرٌ من سنن الحياة الباقية والتي تتراوح بين الإصلاح والإعمار في الأرض إن كانت الغلبة لأهل الإيمان، وبين الإفساد والإهلاك في الأرض إن كانت الغلبة والشوكة لأهل الباطل، والجهاد هو عملٌ وتكليفٌ ربانيٌّ أُمرت به أمةٌ من البشر لغاية القيام بواجب الموازنة بين تلك السنن الربانية وإقامتها على وجهها الذي أراده الله عزّ وجلّ فتَنصلِحَ أحوال هذا العالم ويستقيم أمره على المنهج الربانيِّ الذي خُلق لأجله، وعندما نريد أن نحلِّل طبيعة هذا النوع من الحركة البشرية.. حركة التدافع والاقتتال والصراع العنيف، لا بد من الرجوع إلى مكونات ودوافع هذه الحركة، التي تعطيها حجمها وقدرها من التأثير في الواقع والتغيير فيه، فإذا ما تأملنا تلك الدوافع نستطيع عندها أن نتنبأ بقدرة هذه الحركة على الاستمرار والبقاء والتغيير، ونستشف من وراء الأحداث ما يمكن أن نعتبره نتيجةً محتملةً في هذا الصراع الذي لا بدَّ أن يُحسم بحكم الضرورة.

لا نخفي سراً إن قلنا إن الجهاد الذي أمر الله سبحانه به بكل حركته وعنفوانه يعدُّ

في ميزان السنن الربانيَّة في طليعة الحركات الكونية المؤثرة والفاعلة، فهو حركةٌ كونيةٌ ليست عالميةً فحسب..! فنتيجة الصراع بين الحق والباطل حاسمةٌ في قضايا الكون الكلية!!.

لأن العالم لو تمحّضَ باطلاً صرفاً لأذن الله بهلاكه ودماره **{وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ}**، والجهاد الشرعيُّ هو الحركة العائقة أمام السيادة الكلية للباطل على عالمنا، وهو حركةٌ سماويَّةٌ تستلهم دوافعها وقوتها بما ينزل من وعود السماء وما يصعد إليها من الأرض من طيب العمل الجهادي، فهو ليس حركةً أرضيةً تقف عند حدود الحسابات الأرضية والقيود المادية، بل هو حركةٌ كونيةٌ لا تعرف حدوداً في هذا العالم الضيِّق، وهو حركةٌ صبورةٌ دائبةٌ ترى النصر والنجاح من وراء كلِّ حجب العالم المظلمة، وتستمر هذه الحركة وتكدح كلمَّا انسدت أمامها الآفاق وطوقت بأسباب المهالك، فهي تجد لنفسها مكاناً عزيزاً في زحمة الباطل، تكابد وتصارع وترابط لأنها تعلم أن بقاءها بقاء العالم، وأن ذهابها ذهاب العالم.

نعيد طرح السؤال من جديد لماذا الجهاد؟ لماذا القتال؟.

جوابنا أن الجهاد حركةٌ أصيلةٌ من حركات الكون قامت على ضروراتٍ حياتيَّةٍ ملحَّةٍ: ضرورة الدين، وضرورة العقل، وضرورة الحس، وضرورة التاريخ.

–

الضرورة الدينية توجب الجهاد

والضرورة مصدر الاضطرار في حال الإلجاء وتحمل ما لا دافع له، والدين أوجب على أصحابه تمثُّلَ الجهاد في عقائدهم وأعمالهم، لأن الجهاد ضروريٌّ لقيامه وبقائه كما أراده الله عز وجل، ولإدراك حجم هذه الضرورة نعرض وجوهاً لبيان هذه الحقيقة:

الوجه الأول:

قام الدين على أصل التوحيد وهو إفراد الله عز وجل بالحقوق والواجبات التعبدية والصفات والكمالات الربانيَّة العليَّة، وعلى هذا صُنف الناس إلى منتسبٍ إلى هذا الأصل محققٍ له وإلى جاحدٍ به تاركٍ له، وحقيقة هذا الأصل - أي التوحيد - التفرد والاستعلاء والكبرياء، فلا يقبل حقوقاً تنازع حقوق الله عزّ وجلّ، ولا يرضى عن باطلٍ يُرفع ويُعظَّم دون الله عزّ وجلّ، ولا يقرُّ له قرارٌ بوجود منهجٍ أو دينٍ أو طريقةٍ تنسب صفات الربوبية والألوهية لغير الله عزّ وجلّ، لذا كانت الطريقة السليمة في إظهار هذا الدين هي الدعوة إليه ليكون عالياً على ما سواه فإن حصلت هذا الغاية تمّ المراد، ولكن (وهذا ما يحصل في الغالب دون بأس الجهاد) إن لم يظهر الدين بتلك الدعوة اللينة المعتدلة (كما يحب البعض) وَجبَ أن يقوم الدين بالجهاد والدفع القتالي للباطل حتى يكون الدين كله لله عزّ وجلّ، وهذه الحقيقة هي المرادة والمتعيِّنةُ بقول الله عزّ وجلّ **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}**، قال الطبري في التفسير (٢٤٨/٩): (فقاتلوهم حتى لا يكون شركٌ ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء

عن عباد الله من الأرض وهو الفتنة، ويكون الدين كله لله، يقول: حتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره) انتهى.

وروى عن ابن عباس قوله: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ يعني حتى لا يكون شرك.

وعن الحسن في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال: الفتنة الشرك.

وعن قتادة قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة يقول: قاتلوهم حتى لا يكون شرك، ويكون الدين كله لله، حتى يقال لا إله إلا الله عليها قاتل النبي صلى الله عليه وسلم وإليها دعا.

وعن السدي وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال: حتى لا يكون شرك.

وعن ابن زيد في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال: حتى لا يكون كفر ويكون الدين كله لله لا يكون مع دينكم كفر.

فالقتال أمر من الله لاستئصال فتنة الشرك والكفر ولكي يكون الدين والطاعة والانقياد والاستسلام والحكم والتشريع لله وحده لا شريك له في ذلك كله، فإن كانت بعض خصائص الألوهية أو الربوبية تنسب لغير الله فقد وجب القتال حتى يوحَّدَ الله ويفرد في خصائصه وصفاته العليَّة.

وتأمَّل هذه الحقيقة وهي تعرض في كلام الله بأسلوبٍ آخر، يقول الله عز وجل **{فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا}**.

قال الطبري في تفسيره (٢٦/٤٢): (وقوله **{حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا}** يقول تعالى

ذكره: فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهم وافعلوا بأسراهم ما بينت لكم حتى تضع الحرب آثامها وأثقال أهلها المشركين بالله، بأن يتوبوا إلى الله من شركهم فيؤمنوا به وبرسوله ويطيعوه في أمره ونهيه فذلك وضع الحرب، انتهى).

وروى عن مجاهد قوله حتى تضع الحرب أوزارها قال: حتى يخرج عيسى ابن مريم فيسلم كل يهودي ونصراني وصاحب ملة، وتأمن الشاة من الذئب ولا تقرض فأرة جرابا وتذهب العداوة من الأشياء كلها، ذلك ظهور الإسلام على الدين كلِّه وينعم الرجل المسلم حتى تقطر رجله دماً إذا وضعها.

وعن قتادة حتى تضع الحرب أوزارها قال حتى لا يكون شرك، انتهى.

قال البغوي في التفسير (١٧٩/٤): (ومعنى الآية أثخنوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون الدين كلُّه لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: الجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال) انتهى.

ولتجلية هذه الحقيقة نذكِّر بحديث النبي ﷺ الذي رواه البيهقي في الكبرى (٢١٨/٥) والطبراني في المعجم الكبير (٥٣/٧) عن سلمة بن نفيل قال: (بينما أنا جالسٌ عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجلٌ فقال: يا رسول الله إن الخيل قد سيبت ووضع السلاح، وزعم أقوامٌ أن لا قتال وأن قد وضعت الحرب أوزارها،

فقال رسول الله ﷺ: (**كذبوا فالآن جاء القتال، ولا تزال طائفةٌ من أمتي**

يقاتلون في سبيل الله لا يضرهم من خالفهم يزيغ الله قلوب قومٍ ليرزقهم منهم، ويقاتلون حتى تقوم الساعة ولا يزال الخيل معقوداً في نواصيها الخير حتى تقوم الساعة، ولا تضع الحرب أوزارها حتى يخرج يأجوج ومأجوج).

ومفهوم الحديث أن الحرب لن تضع أوزارها حتى يفنى الشرك والكفر من الأرض، لأن آخر مظاهر الشرك والكفر العلني الأممي يتبدى في قوم يأجوج ومأجوج فبعد هلاكهم تضع الحرب أوزارها ويظهر دين التوحيد على الأرض كلِّها ولا مدعاة بعدها لأي قتال، فتكون الإشارة من النص أن الجهاد قام لتحقيق التوحيد واستجلاب النصر الحاسم في المعركة التاريخية الطويلة بين التوحيد والشرك، والتي تنتهي في مواجهة يأجوج ومأجوج، فعندها يتوقف الجهاد لأن مقصوده قد تم وأُنجز وهو قيام التوحيد في الأرض وانتصار أهله.

والمتدبر لكتاب الله عز وجل يلاحظ هذه الحقيقة في أكثر من موضع، وقد يلمحها في آيات سورة الحديد بقوله تعالى **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}**، فذكر الله عز وجل إنزالين في هذه الآيات، الإنزال الأول يتعلق بالبيان والهدى الذي جاء به الكتاب وأصل هذا البيان التوحيد، والإنزال الثاني يتعلق بالحديد الذي هو أداة الجهاد الناصر للكتاب الرافع لكلمته المعز لشريعته، وعلل الله هذا الإنزال (أي الحديد) ليعلم من ينصره ورسله أي ينصر دينه وشريعته وطريقة أنبيائه ومنهاجهم في معركتهم مع أعدائهم من أهل الباطل، فيكون الجهاد أصلاً في قيام التوحيد وظهوره.

ويقول رسول الله ﷺ (**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلّ والصغار على من خالف أمري**) رواه أحمد وصححه الألباني.

ويقول محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله في السير الكبير (١/١٨٨): (فرضية القتال المقصود منها إعزاز الدين وقهر المشركين).

ويقول ابن القيم رحمه الله في أحكام أهل الذمة (١/١٨): (والمقصود من الجهاد إنما هو أن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كلُّه لله، فإن من كون الدين كلُّه لله إذلال الكفر وأهله وصغاره وضرب الجزية على رؤوس أهله والرق على رقابهم، فهذا من دين الله، ولا يناقض هذا إلا ترك الكفار على عزهم، وإقامة دينهم كما يحبون، بحيث تكون لهم الشوكة والكلمة)، انتهى.

وقال أيضا في حاشيته على سنن أبي داود (٧/١٢٧): (وإنما وضع الجهاد لأجل ذكر الله، فالمقصود من الجهاد أن يذكر الله ويعبد وحده فتوحيده وذكره وعبادته هو غاية الخلق التي خلقوا لها) انتهى كلامه رحمه الله.

حاصل ما أوردناه من استدلال يؤكد حقيقة لزوم ظهور التوحيد على الشرك والكفر في هذه الأرض، وهذه الحقيقة هي أعظم ضرورةٍ تدعو وتلحُّ في طلب الجهاد ووجوبه، فهل هناك وجود للشرك والكفر في زماننا حتى نلتزم بهذه الضرورة، الجواب باختصار:

مظاهر الشرك والكفر في عصرنا بادية للعيان أكثر من أي زمان كان، ونوجز الأساسات التي يقوم عليها الكفر الشائع اليوم ونخص منها ما يمسُّ دين المسلمين

وحياتهم ووجودهم:

أولاً: المناهج الكفريّة تعم بلاد المسلمين اليوم، فمن هذه المناهج ما علا سدة الحكم والقيادة فعلاً، وراح يتشفَّى من دين المسلمين ويهزأ بعقائدهم بالتصريح تارةً وبالتلويح تارةً أخرى، ويكفيك أن تراه وهو يجر بالقيود أمةً تنتسب لـ (لا إله إلا الله) إلى مهاوي الجاهلية الأولى بل إلى ما هو أشد منها، وهو يتسلط على أهل هذا الدين ويسومهم سوء العذاب، كالبعثية المارقة التي شهدت الأمة أياديها وبأسها في نشر الكفر والتبجح به، والمناهج العلمانية المستحدثة من قبل العدو الغربي الحاقد، فكثير منها وإن لم يحكم ويتسلط ولكنه يجهد ويكدح في نشر كفره وجاهليته، وأخيراً أضحوكة "الديموقراطية" والتي تروج الآن على نحو عالمي أكثر رقياً وحضاريةً، وقد وجدت لنفسها موطئاً على أرض الإسلام فلها منابر ومحاضر.

ومن هذه المناهج ما هو منتشر برجاله وأدعيائه يبث سمومه وخبثه بين المسلمين، ويهدم في عقائدهم وشرائع دينهم ولا تجد من أهل الإيمان من يوقف باطلها عند حده أو يردها عن كفرها و ضلالها.

ثانياً: ابتليت بلاد الإسلام في هذا الزمان بردة من نوع غير معهود، فقد أقصيت الشريعة عن حياة المسلمين العامة في كل بلاد المسلمين وباتت الأنظمة التي تحكمهم في حياتهم ومعاشهم أنظمة وضعية بشرية تضاهي التوحيد وتنازع الله عزّ وجلّ في خصائص التشريع والحكم و الطاعة، فوقع في حياة المسلمين شرك عام يمس أصل توحيدهم لربهم وخالقهم وقد أكرهوا على ممارسته والتحاكم إليه وتقديسه وتعظيمه باسم طاغوت القانون أو الدستور وهذا كفر لا شك فيه، فقد

أعطي هذا القانون والدستور سلطة تعلو على سلطة الرب والدين، فهو الذي يقرر ما يصلح من الدين وما لا يصلح، وهو الحاكم على أمر الرب وتشريعه، وسلطته الأولى والأخيرة ولا يسمح لأحد أن يتجاوزها باسم أي شيء كان (ولو باسم الدين)، فأي كفر بعد هذا الكفر؟.

ثالثاً: الطواغيت التي تعبد من دون الله منتشرة في كل مكان من الأرض، ونخص بالذكر بلاد المسلمين، فقد أصبحت مرتعاً لأشكالٍ طاغوتيةٍ متنوعة، منها طاغوتية الأشخاص الذين يؤلهون أنفسهم و يدعون الناس لأتباعهم في التحليل والتحريم فينشئون طرقاً ومسالك تضل الناس عن سواء السبيل، ومنهم الذين يدّعون علم الغيب ويتقولون على الله بغير علم بالكهانة والعرافة، ومنهم من نصب نفسه حاكماً ومشرعاً من دون الله، ومنها طاغوتية القبور والمشاهد والمقامات والأحجار التي يحدث عندها الكثير من منكرات الشرك والكفر من استغاثة واستعانة وطواف ونذر وذبح وتعظيم لغير الله، ولا يخفاك ممارسات غلاة الصوفية والشيعة الهالكة لهذا الشرك الخرافي الدنيء.

رابعاً: مما زاد الكفر كفراً أن جاءت طواغيت العالم الكبرى وعلى رأسها دولة الشر الأمريكية، وهيئة الأمم الكفرية المتحدة والأحلاف العالمية المعتدية والمنظمات الإنسانية الملحدة، لتفرض على أهل الإسلام وعلى بلادهم أُطُراً للعيش وطرقاً للحياة، يسمونها "الديمقراطية"، وحقيقتها عندهم أن يكون الحكم والتشريع بين الناس والمرجع فيما يجوز وما لا يجوز، وما هو محرم بين الناس وما هو محلل بينهم، أن يكون ذلك في يد طائفة من البشر يختارها الشعب لتكون ربّه وإلهه الذي يشرع له الأحكام ويسن له طرق التعامل عند التنازع وفض الخصومات التي تمس أرواح

الناس وأعراضهم وأموالهم، ويشترط لهذه الطائفة الطاغوتية أن لا تسعى في إقامة دولة دينية فتستغل هذا النظام الحضاري في الوصول لغايات عقائدية أصولية، فهذا محرم في النظام "الديموقراطي"، وهو لا يسمح بإقامة دولةٍ تختص بالرب وحده، أي لا يسمح بإقامة دولة التوحيد التي بناها رسول الله ﷺ وسعى لإقامتها ورعاها صحابته من بعده، فشرك "الديموقراطية" شرك عنيد يدرك حقيقة التوحيد المستعلية عليه و على أمثاله من الباطل.

فكيف بعده لا يكون الجهاد والقتال حتم لازم على المسلمين وهم يعاينون الكفر والشرك يسرح ويمرح على أرضهم وبين ظهرانيهم، وقد شرع الجهاد دواءً ناجعاً لمثل هذا الحال الذي هم عليه **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}**، فبالجهاد تزول فتنة المناهج المرتدة و الأنظمة الكفرية والدعاوى "الديموقراطية"، والله غالب على أمره و لكن أكثر الناس لا يعلمون!.

الوجه الثاني:

الوجه الثاني المبين لإلحاح الضرورة الدينية إلحاحاً دائماً مستمراً بوجوب القتال، هو التكليف الشريف الذي حمّله دين التوحيد في أعناق أتباعه والمؤمنين به، فقد استأمن أهله الذين يقولون لا إله إلا الله ويعملون بها أن يقوموا بواجب حمايتها والذبِّ عن حقوقها حال الاعتداء عليها أو الاعتداء على أهلها أو على مقدساتهم وشعائرهم وأراضيهم، فعند ذلك يستصرخ دين التوحيد أتباعه استصراخ المصاب الهلوع، ويستحثهم أن يهبوا في غضبةٍ تثور لها دماؤهم ثورة البركان الهائج، وتجيش لها نفوسهم جيشان المنكوب بفقد العزيز الغالي، ويحذر هذا الدين العظيم من

الركون أو القعود أو الاستبطاء في تلبية إلحاح ضرورة الدفاع ورد العدوان، ويجعل القعود دونها ثلمة عظيمة في إيمان العبد وعقيدته، فإذا هدأت نار الجهاد، وخارت صولات الحسام في مثل ذاك المصاب، فقد وقع بالإسلام فاجعة الفواجع، واعترى المسلمين عار الدهور كلها، وبكت على أيامه العيون ولا بواكي حينها.

لذا حرص الإسلام على تأصيل قاعدة القتال الدفعي حال وقوع الاعتداء والغزو على بلاد المسلمين، فأمر بالقتال وأوجبه على كل مستطيع كبير أم صغير، رجل أو امرأة، حر أو عبد، وفي هذا الصدد يقف البيان الإلهي عند هذه الحقائق ويعلنها بالإذن العام من وراء الأزمنة والقرون وحتى تقوم الساعة بأمره فيقول عزّ مِن قائل **{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ}**، روى الطبري (١٧٣/١٧): (عن ابن عباس قال: لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن، قال ابن عباس: فأنزل الله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير، قال أبو بكر: فعرفت أنه سيكون قتال) انتهى.

فقد وجب الجهاد عند تعرض دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم للانتهاك يقول سبحانه **{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}**.

واستنقاذ المستضعفين من المسلمين ونصرتهم وحماية دينهم وكرامتهم ورفع الظلم الواقع عليهم، صورة من صور الدفع الواجب بقتال العدو ومناوشته وإلحاق الضرر الجسمي والنفسي في صفوفه بأقسى الوسائل الممكنة قال تعالى :

{وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً}.

وقال تعالى **{أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}**.

وقال تعالى **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}**.

كما أنا إذا تأملنا في واقعة طرد الرسول ﷺ ليهود بني قينقاع تبين لنا من مجموع مصادرها التاريخية أن إجلاءهم كان نتيجة عدوان حصل منهم على أمن المسلمين، ومما يستأنس به ما روي من أن رجلاً منهم كشف عورة امرأة مسلمة ليضحك الناس عليها فقتله رجل من المسلمين كان حاضراً، فلم ينكر النبي ﷺ قتل اليهودي الذي رام إذلال المسلمة، بل كاد أن يقتل بقية يهود بني قينقاع حتى شفع فيهم رأس النفاق بالمدينة لعنه الله وأخزاه، فترك الرسول ﷺ قتلهم لمقاصد شرعية وأجلاهم عن المدينة.

وأما تأخير الواجب الجهادي من الدفع والقتال لرد العدوان أو الاستبطاء فيه بحجج باردة سمجة كدماء أصحابها فهو فتح الباب الواسع لفتنة تعم الأرض وشروع بفساد عظيم هائل يطال السماوات وما تحتها، ولهذا التأخير معنى واحد في معادلات الكون، وهو الإذن لحركة الباطل أن تمتد وتتسع زاحفة على رقعة الحق باسطة الشوكة والسلطان، ضاربة الجذور في الأرض، مستوطنة في ديار الحق

والتوحيد مشعرة بعدم ظهوره تارة أخرى، وهي تسعى وتدأب في طمس معالمه في تلك الديار، وتحاول اغتياله وقتله عند كل ولادة ونبات جديد، يقول الله عز وجل: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}**.

روى الطبري في التفسير (١٠ / ٥٦): (عن ابن جريج قوله: **{إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}**، قال: إلا تعاونوا وتناصروا في الدين تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) انتهى.

قال الشوكاني في فتح القدير (٣٢٩/٢): (وفيه تعريض للمسلمين بأنهم لا يناصرون الكفار ولا يتولونهم، قوله إلا تفعلوه الضمير يرجع إلى ما أمروا به قبل هذا من موالاه المؤمنين ومناصرتهم على التفصيل المذكور وترك موالاة الكافرين، تكن فتنة في الأرض: أي تقع فتنة إن لم تفعلوا ذلك وفساد كبير أي مفسدة كبيرة في الدين والدنيا) انتهى.

وقوله تعالى **{وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا}**، تعبير آخر عن طبيعة المعركة بين الحق و الباطل، فالباطل مصرٌ على إزهاق روح الحق، ووسيلته الفضلى لتحقيق غايته هي القتال، فإن قعد أهل الحق عن مقارعة الباطل بمثل وسائله **{ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً}**، وقع مراد الباطل بردة أهل الدين ونكوصهم عن الحق وانتشار الباطل وتمكنه، ولا نعلم في

ديننا وسيلة أخرى لكبح جماح رغبة الباطل في قتال الحق وطمس معالمه، بل هذا ما أرشدنا إليه القرآن وهو فعل نبينا ﷺ في صد باطل الشرك وإلغاءه من الوجود، القتال ثم القتال حتى لا تكون فتنة، وهذه النتيجة المأساوية التي لا يدركها كثير من المسلمين وخاصة عندما ينزل أعداؤهم في بلادهم قد نبه عليها القرآن في وصف غزوة الأحزاب وإحاطة المشركين بالمدينة فقال سبحانه:

{وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً}

فلو دخل المشركون المدينة لاستعلوا فيها بفتنة الكفر والشرك ولوجد القاعدون المتعذرون عن القتال أنفسهم أمام فتنة عظيمة في الدين وقد أخذتهم الغفلة عن الواجب الجهادي إلى هذا المضيق الذي يختنق فيه دينهم وإيمانهم حتى الموت إن هم أطاعوا أهل الكفر والشرك بعدما تسلطوا على رقابهم، هذه هي حقائق الصراعات وهكذا ينبغي أن يعي المسلمون الأحداث من حولهم، ففتنة الكفر التي دخلت على أمة الإسلام من أقطارها جميعها هي البلاء الأعظم الذي أصاب الأمة، والرضا به والركون دونه هو بريد الفتنة فضلا عن محاباته ومجاملته والتصفيق له..! فذاك الكفر الصراح الذي لا يقبل بعده من مسلم عذر.

والملمح الغريب في هذا الوجه من الضرورات الدينية الداعية للقتال أنه يعود في أصله إلى الوجه الأول وهو حماية جناب التوحيد وحفظ دعوته، فغاية جهاد الدفع هو حفظ الدين وبقاءه، وبقاء الدين لا يمكن دون بقاء أهله وبقاء أرضهم التي تقام فيها شعائر التوحيد وتطبق فيها حدود الإسلام، وتعظم فيها حقوق الرب العظيم، يقول سيد قطب رحمه الله: (وحقيقة أن حماية دار الإسلام حماية للعقيدة والمنهج والمجتمع الذي يسود فيه المنهج، ولكنها هي ليست الهدف النهائي،

وليست حمايتها هي الوسيلة لقيام مملكة الله فيها ثم لاتخاذها قاعدة انطلاق إلى الأرض كلها، وإلى النوع الإنساني بجملته، فالنوع الإنساني هو موضوع هذا الدين والأرض هي مجاله الكبير) تفسير الظلال (١٤٤١/٣).

وماذا عن اليوم الذي تعيشه الأمة؟ لو أخذنا صوراً متفرقةً من واقع الأمة المتناثر لصرنا نعي خطورة الحقيقة التي أسلفناها فيما مضى من الكلام، وملامح هذه الصور تتبدى لنا في النقاط التالية:

أولاً: الغصب اليهودي لأرض فلسطين الذي تمادى ثم تمادى وطال عليه الأمد إلى ما يزيد على نصف القرن، ها هو جاثم على أرض الأمة الإسلامية وفي كل لحظة تمر يزداد الغصب اليهودي قوةً وشراسةً لولا بقية من أبناء الأمة عرفت دواء هذا العدو بالجهاد والسلاح، وترك هذا الغاصب في فسحة من الزمن ريثما تتهيأ الأمة كلها لجهاده بقوى موازية أو إعدادات مكافئة هو عين الخلط والخبط الذي فتح لهذا العدو إمكانية الإعداد والتجهيز والسيطرة على الأرض، حتى بات كما يرى العالم اللاعب الرئيس على أرض الإسلام والمتحكم بالقرارات والسياسات التي تخدم مصالحه وتعزز سلطانه وتؤمن له مساحة واسعة من الأمن القومي كما يزعم.. عن طريق استئصال أي حركة ناهضة بالدين والتوحيد، وتدارك خطورة أي تداعيات لأي عمل جهادي إسلامي في أرض الشام والعراق والجزيرة ومصر، فهو المِبضع المسموم الذي يلوك أحشاء الأمة ليصل إلى فؤادها فيصيبها بمقتل لا قدر الله.

ثانياً: الغصب الأمريكي والعالمي لأفغانستان، وقد كان غزواً كفرياً معداً لضرب بواعث الجهاد التي بدأت تتحرك من تلك الأرض المباركة، وعلى رغم قلة تلك

البعوث وضعف إمكاناتها إلا أنها صدرت الرعب والخوف إلى أباطرة العالم ورؤوسه الكبار فجمع الباطل كيده ثم أتى على أمر من باغية العالم أمريكا، فدك تلك الأرض الطيبة وقتل نساءها وأبنائها وشيوخها، وطمس معالم إمارة إسلامية وليدة، واتخذ من تلك الأرض قواعد لأطماع متجددةٍ ومستمرةٍ، يلاحق منها أبناء الإسلام أينما كانوا (كما صرح بذلك بوش).

ثالثاً: الغصب الروسي لأرض الشيشان وغيرها من بلاد الإسلام وما جرته حروبه القريبة على تلك الديار من خراب وهلاك للزرع والنسل، مما لا يخفى على مطالع لأحداث هذا الزمان.

رابعاً: الغصب الهندي لأرض كشمير وغيرها واستباحته لدماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم.

خامساً: صورٌ قديمةٌ أصبحت اليوم منسيةً لا تذكر ويراد لها ألا تذكر حتى لا تتفتق عروق شبابنا بالجهاد، فاليوم لا يذكر غصب الأندلس ولا الغصب الواقع لكثير من أراضي المسلمين في الشرق الآسيوي، قد مر على ذهابها زمن، فغابت ذاكرة الأمة عنها فهي في طي النسيان، فلا يطالب فيها أحد في وقت من الأوقات.

سادساً: الغصب المرتد لمعظم أراضي المسلمين اليوم، وقد أخّرت الكلام عليه لا للتهوين من أمره ولكن لاعتبار ما علق في أذهان كثير من أبناء الأمة إلى أن الغصب لا يكون إلا من أجنبي كاليهودي والأمريكي والفرنسي أما أن يكون الغاصب عربياً فهذا لا تسيغه الأهواء والأمزجة العرقية والعصبية والقومية، لذا أخرته تنزلا مع الذهنية المعاصرة، ولا يعني أبداً أن نتهاون مع هذا النوع من الغصب فهو الأشد والأنكى على أمتنا الإسلامية، وضرورات منابذة هذا الغصب ومعالجته

بالجهاد أولى من غيره وذلك لأمور:

- أن هذا الغصب فرع عن بلاء أعم و قع بالأمة وهو ظاهرة الردة الحديثة التي تفشت في بلاد المسلمين، حيث نبت في أرض الإسلام زرع خبيث نكد، يحمل في سوقه ثمار دعوات كفرية صريحة كالدعوة إلى العلمانية والقومية الملحدة والشيوعية و"الديموقراطية" وغيرها من مورثات الكفر العالمي الحديث، ثم توطنت هذه الدعوات المزينة في أرضنا حتى إذا تمكنت بمعونة أسيادها من الغرب انقلبت على أهل الإسلام وغصبت ديارهم وقتلت من تصدى لها من أبناء دينهم وحاربت شعائر الإسلام وشرائعه ظاهراً وباطناً، ولا يخفى أن أحكام الشرع في التعامل مع ظاهرة الردة شديدة وقاسية لأن تكرار مثل هذه الظاهرة في الواقع المسلم يهدم مباني الدين وأصوله ويمنع من إقامته وتمكنه في الأرض، فهي من جنس الردة التي ينبغي أن تُوأد سريعاً وبأقسى الطرق.

- أن هذا الغصب أشد تلبيساً وتزييناً في عقول المسلمين من غيره، فهو من أبناء الجلدة الذين يتكلمون بلساننا ويعيشون بيننا وقد خرجوا على الأمة بدعوات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، فهم يتمسحون بالحرية والوحدة والتقدم والأمن الاقتصادي والرفاه الاجتماعي، ويلوون ألسنتهم طعناً في الدين فبعضهم يردد لا إله إلا الله وهو أشدهم عليها أذى، وغالبهم يتظاهر بالإسلام وفي الليل ثعلب ماكر يتوسل إلى مراده بالكذب والخداع، وهو مع هذا يمارس أعمال الردة الظاهرة عبر تطبيقات نظرياته الكفرية وقوانينه الطاغوتية فوق أرض الإسلام، ويظن أن خديعته ستنطلي على المسلمين لولا فلول الجهاد السائحة المتيقظة للدسائس والزخارف فهي عائقه الوحيد ومؤرقه العنيد.

- أن دواعي بقاء هذا الغصب وتمكنه واستمراره أولى من غيره لأن الغاصبين المرتدين هم آباؤنا وأبناؤنا وإخواننا وأعمامنا وعشيرتنا وقبيلتنا وقومنا، والنفوس لا تطمئن ولا تقوى على مقاتلة ومصارعة القريب فأواصر القربى شديدة التلاحم والترابط وتفكيكها بالقتال ليس بالأمر الهين، لذا يكون بقاؤها وتلبيسها أكبر من غيرها فالنفوس تضعف أمام هذه الدواعي، وتتنصل من هذا الصراع الذي أقل ما يقال فيه هؤلاء قوم يقتلون آباءهم وقومهم وأبناء وطنهم، ثم لا يلبث الغرب أن يصنفها حرباً أهلية، وتثور من وراءها الفتن كما يتصور الخوالف من المتفقهة، فمثل هذه الحرب لا يخوضها إلا أهل الصدق الذين جردت معادنهم خالصة للتوحيد لا يقيمون غيره ولا يوالون ولا يعادون إلا فيه، اشتعل فيهم وقود الإيمان فحرر في نفوسهم سبائك الإخلاص وأذاب دونها عوالق العصبية والنسب والرحم، فهم البدريون في هذا الزمان، فلله درهم ما أبهى مطالعهم.

- أن هذا الغاصب المرتد هو الذي مكن للغاصب الأجنبي في بلاد الإسلام فدون معونته ومدده لا يستطيع اليهودي والأمريكي والفرنسي والبريطاني أن يقيم في أرضنا، فهو المتآمر الأول مع العدو الأجنبي على الإسلام والمسلمين، والأجنبي يتستر من وراءه ويتذرع بصداقته وولايته ليصل إلى مآربه على الأرض، فكل منهما يؤازر الآخر ويعاضده، لعلم الغاصبَين أن مواجهة الإسلام ليست طريقاً سهلةً مذللةً.

والتحقيق في صورة هذا الغصب يجلي أمر الأنظمة الحاكمة اليوم في ديار الإسلام فوجود هذه الأنظمة هو أكثر من عدوان على الأرض والأموال بل هو إصرار وعزم أكيد على سحق أي محاولةٍ نهضويةٍ تعيد للدين عافيته، وهذه الأنظمة تنفق الغالي

والرخيص للصد عن وصول الشريعة الإسلامية إلى سدة الحكم مما يعني تمكين الشريعة وعودة سلطان الدين ومحاسبة الناس على مقياس التوحيد، وإدراك هذه الحقائق لا يحتاج كثيراً من المنصف المتأمل، والعلم بها من باب العلم بالواقع الذي يستطيعه الكثير وليس حكراً على طلاب الشريعة والدين فحسب، فليس بمستغرب بعدها أن ترفع راية الجهاد ضد هذه الأنظمة الغاصبة على اختلاف أقطارها ومناهجها في السيادة والحكم، فالغصب متحقق في الشام لكل من سوريا والأردن ومثله في جزيرة العرب لكل من السعودية والخليج واليمن ومثله مصر والمغرب العربي وعليه الحال في باقي ديار الإسلام، طوائف وأنظمة وأحزاب ودعوات تمكنت من أرض الإسلام في غفلة من أهلها فأخذتها لقمةً سائغةً دون تعب وعناء، فمسؤولية المسلمين اليوم إعادة حقوق الإسلام وشرائعه إلى مكانها اللائق في السلطان والسيادة ولو كلف ذلك بذل الكثير.

والجهاد مفروض اليوم لأنه المطية الوحيدة إلى تلك الغايات، فقد عرف عن تلك الأنظمة أنها تنتهج القتال والعنف لتحصيل مرادها وهي تردد على الدوام أنها ستقاتل كل من تسول له نفسه مساساً بنظامها الكفري، فمقارعتها شرٌّ لا بد منه على أقل تقدير.

سابعاً: الغصب النصراني الماروني للبنان حتى أصبح المسلمون فيها يصورن على أنهم أقلية لا يستحقون ما كان لهم في زمن من الأزمنة، ويجردون من تاريخهم الذي يعكس حقوقهم في تلك الأرض.

ثامناً: الغصب الأمريكي والعالمي للعراق، وهو يشكل النكسة المتأخرة في حياة الأمة، وهو يخرج عن كونه مجرد غزو، فالحروب الصليبية الأخيرة التي خاضتها

الولايات المتحدة الأمريكية ينبغي أن تدرس على نسقها الذي بدأت منه فهي حروب عالمية شأنها التصدي لعالمية الإسلام، وهي حروبٌ دينيةٌ لأنها تسعى لفرض القيم الأمريكية والرؤية الغربية للكون والحياة في ديارنا، فهي لا تقف عند حدود غصب لأرضٍ أو انتهاكٍ لدمٍ أو عرضٍ، بل خطرها يمتد إلى مستقبل العالم وما ترمي إليه مخططات هذا الغزو في المنطقة من دعم للكيان اليهودي والتيقظ لكل صيحةٍ إسلاميةٍ تستنهض همم أهل الإسلام وتستحثهم على الجهاد، وكما أن تكثيف التواجد الصليبي في المنطقة يعني الحفاظ على الخرائط المرسومة لواقع الأمة بترسيخ الانقسامات واللعب بالسياسات، وتغييرها في الوقت الذي يلاءم مزاج الصليبين وأهواءهم وعلى الطريقة التي يحبونها.

وهذان الوجهان من الضرورة الدينية يستوعبان غيرها من الوجوه التي تستدعيها الضرورة الدينية كتوحيد أرض الإسلام وقتال البغاة وطوائف البدعة لهذا اكتفينا بهما عن سرد غيرهما وأدلة هذين الوجهين واضحة في الدلالة كما مر، وعليه أهل الإسلام وعلماؤهم وفقهاؤهم في فرض الجهاد وظروف وجوبه وتعينه، وهي متحققة متهيئة في واقعنا اليوم كما بينا، فاللحاق بالفرض هو أولى الأوليات ولا اعتبار لشرط أو مانع أو قيد إلا ما يدخل في تحقيق مصالح أداء فرض الجهاد إذ في مثل حال زماننا تسقط الشروط والقيود والموانع لتسهيل أمر الجهاد وفتح أبوابه، وإلا لزمنا اليوم أن نعطل هذا الفرض وتصبح ضرورته التي تلحُّ علينا محالاً لا نستطيع تحقيقه والقيام به.

–

الضرورة العقلية تفرض الجهاد:

لو انفردنا بالعقل جانباً وتجاذبنا معه محادثات تتناول حقائق الصراعات والمنازعات ودوافعها ومآلاتها ونتائجها لحصلنا منه على تقريرات يقينية بمحاكماته البسيطة تيسر لنا فهم منطق الدفع العُنفي (أو القتالي)، ومما يستحضره العقل الواعي لمدارك الصراعات مسألة حاسمة وهامة، وهي مسألة التوازنات التي تعاير بها نتائج الصراع، فمتى اختل قانون التوازنات رجحت كفة أحد الخصوم على الآخر وفاز بجولته، ولفهم مسألة التوازنات لابد للدارس والمتأمل أن يرجع إلى عناصر ومقومات خوض أي صراع وهي كثيرة متنوعة تساهم فيها متعلقات تاريخية وعقائدية وبشرية واقتصادية وسياسية، ولكن المقومات الرئيسة والتي يشكلها تنوع تلك المتعلقات ويجعلها تطفو على سطح الصراع وتبرز كعوامل فاعلة ومؤثرة هي مقومات القوة وعناصرها المساعدة **{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}**، وعندما استشارت بلقيس قومها في أمر الكتاب الذي أرسله إليها سليمان عليه السلام ومارس عليها وعلى قومها ضغطاً سياسياً معيناً استحضر قومها سريعاً عناصر الصراع الرئيسة عندما توقعوا مواجهةً مسلحةً :

{قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ}.

والعقل يقر بوحي من الواقع أن الصراعات الحديثة تقوم على أساس التفوق البشري في استثمار المادة وتطويعها إلى سلاح ذو بأس شديد يعزز مكانة صاحبه بين الخصوم ويملكه قوة يستهيبها أعداؤه، وبغض النظر عن فصول المعركة المتعددة والتي تبدو تارةً سياسةً وتارةً أخرى إعلاميةً وتارةً اقتصاديةً إلا أن عوامل الحسم تبقى

رهن المعركة العسكرية المسلحة على اختلاف صورها وأشكالها، لأن الصراع يتشكل في مراحله الحاسمة على هيئة القتال المادي المسلح فهو الذروة التي يتجلى فيها الصراع، وتبرز فيه مقومات كل الأطراف المتصارعة ويقترب وقتها من الحسم، وعندها يستثمر المتصارعون معارك أخرى سياسية وإعلامية واقتصادية لترجيح الكفة لصالحهم، وتبقى القوة المسلحة المادية وإلى جانبها القوة المعنوية النفسية المرجح الرئيس لخوض أي صراع وفق قوانين العقل وحساباته، ولكن لا يعني هذا أن القوة المادية وحدها هي الحكم في القرار النهائي للصراع بل تشارك القرار عوامل أخرى بالتأكيد وخاصة الشق الثاني من معادلة القوة وهو العامل المعنوي فدمج المادي والمعنوي مؤهل جيد لخوض صراع شرس، والانفراد بأحدهما دون الآخر بادرة انكسار وخسارة، وما نريد أن نؤكد عليه هنا أن خوض الصراع دون تأهيل مادي قتالي يكون رأس الحربة في المواجهة لا يبشر المصارع (إن تصدى للصراع أو فرض عليه الصراع) بنتيجة طيبةٍ سارةٍ، فالانكفاء عن هذا النوع من القوة المادية العسكرية والهرج بطرق أخرى دبلوماسية وتفاوضية دون قوة تؤثر في التسويات (إن كانت مجدية) لا يكون إلا نوعاً من الاستدراج والمكر السياسي الذي يمارسه الخصم القوي، والذي يتبدى للخصم المتنازل عن القوة بأنه استسلام محض ورخيص.

ومحاكمة العقل البسيطة عند نشوء الصراع أن كفتي الصراع تتساويان وقت حصول توازنات في القوى بين المتصارعين وترجح إحدى الكفتين على الأخرى عندما يتفوق أحد المتصارعين بتفعيل عنصر القوة بشكل أكبر، ويكون ذلك:

أولاً: بامتلاك القوة.

ثانياً: البراعة في ممارسة أساليب القوة، أي ما نعرفه في العرف العسكري بفنون القتال.

ثالثاً: الجلد والثبات والعناد الذي يستند إلى ظهر معنوي قوي متين، والذي يظهر للخصم أفقاً لا نهاية له من الصمود والالتزام بالمواجهة، فينكسر عوده مهما كثر عدده وثقل عتاده.

فربما امتلك الخصم قوة ليست بالكبيرة ولكنه تفوق بحسن اختياره لفن قتالي يناسب معركته على الأرض ويلاءم طبيعة عدوه الذي يحاربه، فتحسم المعركة لصالحه، والحاصل أن القتال مع كل مضاعفاته هو كسبٌ أكيد للقوة وبرنامج جيد لممارسة أساليبها وتقنياتها، ومؤداه أن منطق القوة والجهاد القتالي هو العامل المؤثر في حسم الصراعات مع عوامله المساعدة، وكل دعوة أو فكرة أو منهج أو جماعة تعرف لها أعداء في الأرض وتتوقع في مقدمات سيرها خوض صراع مع عدو محتمل ثم لا تتهيأ بمنطق قوة الدفع والجهاد لن تجد لنفسها مكاناً في هذا العالم مهما اتسع، وأقول هذا الكلام بناءً على أن الدعوات تقوم بأفكارها ومناهجها لا بأشخاصها، ولعله يبقى من الدعوة أشخاصاً وأشباحاً ولكنهم مهزومون موتورون، انقطع نسبهم بدعوتهم التي سحقت تماماً ببطش العدو أو استغلت في تلميع صورة الباطل وإنعاشه بشيء من الحياة، فليتذكر هذا أصحاب ما يسمى بالدعوات المعتدلة والإصلاح التربوي اللطيف، قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (١٩٩/١): (وإذا طَرَقَ العدو من الكفار بلد الإسلام طرقوه بقدر الله، أَفَيَحِلُّ للمسلمين الاستسلام للقدر، وترك دفعه بقدر مثله، وهو الجهاد الذي يدفعون به قدر الله بقدره؟).

الضرورة الحسية تفرض الجهاد:

ضرورةٌ أخرى تلح على الاستعداد والمبادرة بأخذ أسباب القوة والشوكة، ضرورةٌ وجدانيةٌ فطريةٌ، استشعرت هوية الباطل وتلمست قواعده في الحركة والتعامل، فأدركت بإلهام طبعي صورة المواجهة مع هذا العدو، وأنه محتوم بصراع مسلح عنيف لا يقبل المساومات {**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**}، والإحساس بالحق ذوقاً ووجداناً يرافقه التأمل في صفاته المستعلية وحقوقه المتأبية وكبرياءه الثابت، ومثله الإحساس بالباطل يرافقه رؤية استكباره وجبروته وعناده، وبتمازج الإحساسين تتولد ضرورة نشوب الصراع، وحتمية اندلاع النزاع حتى تعلو كلمة الحق الحقيق بنفسه، وتزهق روح الباطل الذميم بأصله، وتبقى هذه الأحاسيس والتلمسات مصدراً مستمراً في تغذية الصراع مساندة للضرورات الأخر، ويشاركها في دفق اليقين الوجداني أحداث وفصول وقصص تدور على مسرح الواقع تزيد في نبض تلك الأحاسيس وتجعلها قيمة عقائدية مسلمة، ومثلا مما نحسه ونستشعره في الواقع من مجريات الأحداث المعاصرة التي تؤكد أن الصراعات التي تحكم وجود أقوامٍ وفناء أقوامٍ لا تدار دون وجود عملٍ عسكريٍ أصيل، ومما يدلك على ذلك:

أولاً: أقطاب العالم الكبار أو قطبهم الأكبر (أمريكا) لم يحصل على نجم القطبية لولا استحواذه على مقاليد القوة والسيطرة في العالم، وقد خاضت أمريكا حروباً كثيرةً في القرن الذي مضى إدراكاً منها لهذا المعنى المحسوس والذي تسميه بالأمن القومي، ومن جديد خرجت على العالم بمفهوم الحروب الوقائية التي هي امتداد

لإحساسها بالخطر وهو نوع من الاستشعار البعيد المدى.

وبغض النظر عن سلوكيات هذا الأمة الفاجرة وعقائدها وقيمها فإني لا أرى إحساسها هذا بعيداً عن الصواب، فأمةٌ بلغت هذا المجد في عيون الأمم تدرك معنى القوة، وتفهم فلسفة الحروب، لذا تسعى في الاحتفاظ بمكانتها عبر طريقٍ واحدٍ يستشعره البشر هو الأخذ بأسباب القوة.

ثانياً: اضرب مثلاً بكثيرٍ من الثورات الحديثة الفرنسية والشيوعية والصينية والألمانية والكوبية وحركات التحرر في فيتنام ونيكراغوا والهند الصينية وغيرها.. التي نالت ما تريد بطريق العمل المسلح الذي يقارع السبب بالسبب واليد باليد والآلة بالآلة والذي يعد انفعالاً طبعياً في خضم صراع هذه متطلباته.

ثالثاً: لا نذهب بعيداً فهذه الحكومات التي تستبد ديار الإسلام ألم تأت على ظهر انقلابات عسكرية مسلحة، فالحكومات العربية والإسلامية (بزعمها) التي تدعي الحرية و"الديموقراطية" اليوم هي التي جاءت بالقوة والسلاح كالثورة (ثورة الضباط الأحرار) في مصر، وتحرك البعث الكافر في العراق وسوريا، حتى آل سعود الذين جاؤوا بعد قتلٍ وسفكٍ كثيرٍ للدماء (ولم يكونوا تكفيريين ولا إرهابيين وقتها!!) في حربهم مع آل الرشيد والشريف حسين، وغيرها من الأعمال العسكرية التي مكنت للحكومات الحاضرة في العالم الإسلامي.

وهي (أي الحكومات) تؤمن بهذا الطريق إلى لحظتنا هذه وإلا لما رأيت منها هذه الإجراءات الأمنية الصارمة والمشددة لمنع ولادة أي قوةٍ منافسةٍ لأيّ نظام، لاستشعارها بأن القوة المعادية متى وجدت كان تهديداً لوجودها وكيانها، أحداث

ووقائع دلالاتها كالشمس في وجدان كل من تصدى لصراع وهم بقطع طريقٍ يكثر فيه الأعداء.

لا شك أن العالم اليوم تحكم فيه قوى مختلفة كالقوة الاقتصادية والسياسية والإعلامية والمواقع الجغرافية وغيرها.... ولكن هذه القوى وحدها لم تكن كافيةً لجعل أحدٍ ما متحكماً بالقرار والمصير والحسم، ولولا القوة العسكرية المتشكلة من تعاضد تلك القوى مجتمعة لما وجدت أمةٌ لنفسها مكاناً في العالم، فاليابان على تفوقها الصناعي لم تنل حظ القطبية العالمية، فمع قدرتها الاقتصادية الضخمة إلا أنها مستغلةٌ أمريكياً للتفوق العسكري الأمريكي الذي أرهب العالم بكل قواه واستعبد كل من عظمه وخافه من الدول، وحارب كل من خالفه وشاكسه من الأمم.

فأحداث العالم ووقائعه الحاضرة دليل بيّن على أن القوة عنوان الوجود، وخوض الصراع محتومٌ على من تعرض وجوده لأدنى خطر والدول التي تظن نفسها أنها تمتلك القوة وتحابي الدول العظمى وتسايرها في مخططاتها هي في حقيقتها مغصوبةُ الحقوق والإرادة، وتظاهرها بالقوة نوع من الخداع السياسي تمارسه أمام العالم وأمام شعوبها.

-

الضرورة التاريخية تفرض الجهاد

النظر في التاريخ هو نظر في السنن والقوانين التي تنظم علاقات الكون والحياة، ومن جملة هذه السنن سنن الصراع والهلاك والبقاء وسنن النصر والهزيمة وسنن العلو والهبوط التي جعلها الله سبلاً لمن أراد أن يهتدي لمطلبٍ عزيزٍ أو يصل لمرادٍ رفيع.

ولو مررنا بالتاريخ لحدثنا الكثير الكثير عن صراعاتٍ حشاها في جعبه، وأشهر ما يتردد عند ذكرها هو الإنجازات التي قدمتها صراعاتٌ كبرى، وحروبٌ شرسةٌ كانت منعطفاتٍ بارزةً في تكوين التاريخ، و الذي يعنينا هو تاريخ الصراع الديني الذي قادته الرسل والأنبياء بتكليف من الله جل في علاه، فقد أُمروا بالدعوة إلى الحق ومحاربة الباطل ومعاداته، فحملتهم دعوتهم على نوعٍ من الصراع لم يشهد التاريخ مثيلاً له في حركته واحتدامه، فكانت صراعاتهم القديمة تصل إلى لحظة العنفوان والبطش الذي ينذر بالحسم، وحال كثيرٍ من الأنبياء وأتباعهم حال القلة الضعيفة التي لا تقوى على الحسم المادي، والاستمرار بالمواجهة على هذا النحو دون أمرٍ بالقتال أو الاستعداد المادي هو تعريضٌ بالهلاك، لذا كانت حكمة الله تأبى على الدعوات أن تواجه خصومها مواجهةً مسلحةً حاسمةً لأمرٍ أراده الله.

ولكن معادلةَ القوة كانت غالبةً لصالح القلة المؤمنة، لتكفل الله عز وجل ببقية الصراع ونتائجه، إذ يأمر النبي وأتباعه أن يخرجوا من أرضهم أو يفارقوا قومهم أو يهربوا تلصصاً، كما حدث مع نوح عليه السلام وكذلك لوط ومن معه، ثم يحين موعد الفصل والحسم للصراع، ولكن دون جهد المؤمنين وسببيتهم، بل يكون الحسم بقدرة الله المتفردة، فيأتي أمره سبحانه على القوم المشاقّين بالهلاك القدري

المحتَّم فلا تبقى لهم باقية تسر، ويحيق الموت بهم وبنسائهم وذراريهم وقراهم ومدنهم، ثم تكون خاتمة الصراع، هكذا كانت النهاية في الصراعات الأولى، فإن كان المؤمنون على قلةٍ وضعفٍ من القوة المادية كانت القوة الإلهية جبراً حاسماً يكفل لهم النصر و التأييد في معركتهم.

ولكن السنة الربانية، والحكمة الإلهية اقتضت أمراً آخر في إدارة الصراع الديني التاريخي، فقد أراد الله عز وجل أن يكون المؤمنون عاملاً هاماً في حسم الصراعات التاريخية، ورغب لهم المشاركة اليدوية في ترجيح الموازين وقلبها، فشرع لهم أولَّ تشريعٍ بالجهاد والقتال على زمن موسى عليه السلام:
{يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ}، وكانت بداية عهدٍ جديدٍ في تاريخ الصراع الديني بين الحق والباطل، وبدأت سنن الدفع القتالي الجهادي تتبدى وتبرز في ملامح تلك الصراعات من بعد نبي الله موسى **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}** إلى قوله: **{ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}**، وعندها ظهر السلاح وقيمه الأخرى من القوة والبأس والشوكة كرموزٍ إيمانيةٍ تستولي على قلوب المؤمنين بالله ووعوده بالنصر والغلبة.

أخذ هذا التشريع بالاتساع والتأصُّلِ حتى بلغ ذروته واكتماله على عهد النبي الخاتم رسولنا محمدٍ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وعندها صار تحقيق التوازن والغلبة في معادلة القوة أمراً موكولاً لجهد المؤمنين (حسب استطاعتهم كما تبينه نصوص التنزيل.. **{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}**..) مع صدقهم وإيمانهم

بتأييد الله لهم وحفظه لجهادهم وأعمالهم فقال سبحانه **{قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ}**، فصار حسم الصراع منوطاً بكسب المؤمنين وما تقدمه أيديهم من الجهاد والدفع المادي لباطل الكفر والشرك وكل ذلك في ظلال الرعاية الربانية وحفظها، وصور جهاد النبي ﷺ ماثلةٌ في قلب كل مسلم وهو يأتمر بقول الله عز وجل **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}**، قوله: **{فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا}**، مع العلم أن الشكوك والتخرصاتِ التي يلقيها المثبطون والقاعدون عن الجهاد كانت موجودةً ومتحققةً في زمانه ﷺ، فكان يجاهد بفئةٍ قليلة العدد نسبةً للواقع الجاهلي المحيط به، والعلم الرباني لم ينتشر في الواقع ذاك الانتشار، والإسلام مازال محاصراً في بقعةٍ صغيرةٍ تسمى يثرب، ثم إن جهاده عليه الصلاة والسلام قد أَلَّبَ عليه الأحزاب من بعد فأجمعوا أمرهم لغزوه في مدينته، وكان كثير من الصحابة بل العدد الأكبر منهم قد خاض المعارك والحروب مع النبي ﷺ دون برامج التربية والتعليم التي يدندن حولها المرجفون اليوم.

ثم سارت أمته من بعده ﷺ على هذا النهج في مقارعة الباطل ودكه في جولاتٍ ومشاهد لا ينساها التاريخ، في شريط زمني ضخم امتلأت مقاطعه بحروب وغزوات وفتوحات لم تتوقف ولم تهدأ، لتسجل اللفتة التاريخية الهامة التي تؤكد ديمومة الصراع على اعتباره ثابتاً من ثوابت الحياة، ومع انضمام مجموعة الأحداث التي نعايشها ونتحسسها بتحول العالم إلى ساحات حربٍ عالميةٍ يطول شريط الزمن بعرضها، يعيد التاريخ تدوين الحقيقة بصيغ وعبارات وجمل تبالغ في إصرارها وتأكيدها على

حتمية الصراع بين أهل الحق و أهل الباطل، بين معسكر الخير ومعسكر الشر.

ولتكتملَ حلقات هذا الشريط لنا إطلالةٌ على مستقبل الأحداث القادمة والختامية التي ترسخ هذه الحقيقة في جبين الزمن، نستبصرها عبر نصوص الوحي ومرويات الأخبار النبوية الشريفة، تروي لنا وقائع الأيام الأخيرة من حياة البشرية في مشاهد خاشعةٍ مهيبةٍ، نرى أن الإخباريين ورواة الحديث من أصحاب السنن وغيرهم كانوا يفردون تلك الأحداث بكتاب يسمى كتاب الفتن والملاحم يقصون فيه خبر تلك الحروب والملاحم التي تكون في آخر الزمان والتي توشك على نهاية العالم والتاريخ، ومما يعنينا في هذه الإطلالة خبر الطائفة الذي وقفنا عنده سابقاً في هذه الورقات، والذي يتحدث عن بقاء الجهاد واستمراره ولو على يد عصابةٍ قليلة، روى البيهقي في الكبرى (٢١٨/٥) والطبراني في المعجم الكبير (٥٣/٧) عن سلمة بن نفيل قال: بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله إن الخيل قد سيبت، ووضع السلاح، وزعم أقوامٌ أن لا قتال وأن قد وضعت الحرب أوزارها، فقال رسول الله:

(كذبوا فالآن جاء القتال، ولا تزال طائفة من أمتي يقاتلون في سبيل الله لا يضرهم من خالفهم، يزيغ الله قلوب قومٍ ليرزقهم منهم، ويقاتلون حتى تقوم الساعة ولا يزال الخيل معقوداً في نواصيها الخير حتى تقوم الساعة ولا تضع الحرب أوزارها حتى يخرج يأجوج ومأجوج).

فبقاء الطائفة المقاتلة المجاهدة أمر اقتضته سنة الله في الصراع، وثبات هذه الطائفة واستمرارها إرهاص ببدء ملاحم آخر الزمان في المنطقة تحديداً (أي ما يسمى بالشرق الأوسط) فحروب في الشام والجزيرة وإيران ثم يتم الالتحام مع الروم (أوروبا

وحلفاءها) ومن رواءها الملحمة الكبرى، وبعدها فتوحات للقسطنطينية تتوالى حتى تصل إلى روما، ثم يقع غزو الدجال ويقتل شر قتلة على يد نبي الله عيسى عليه السلام كما أخبر النبي ﷺ فيما يرويه مسلم (٢٢٢٣/٤) : (عن يسير بن جابر قال ثم هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيري إلا يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة، قال: فقعد وكان متكئا فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة. ثم قال بيده هكذا، ونحاها نحو الشام، فقال عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام، قلت الروم تعني؟ قال: نعم، وتكون ثم ذاكم القتال ردة شديدة ..الحديث).

وروى مسلم (٢٢٢٥/٤): عن نافع بن عتبة قال: (كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي قال: **تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله،** قال: فقال نافع: يا جابر لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم).

ثم يبدأ زحف يأجوج ومأجوج والذي ينتهي بهلاك قدري من الله عز وجل، تتوقف عنده الحروب ويعم الإسلام الأرض بإذن الله تعالى.

فإذا وفقنا بإيجاد الترابط المنطقي بين سلاسل الأحداث الزمنية الماضية والحاضرة والمستقبلة سنقع على الحقيقة ذاتها، أن الصراع أمرٌ قدريٌ محتومٌ لا مفرَّ منه، وأن مفهوم القتال والحرب مفهومٌ بارزٌ متأصلٌ في الثقافة الإنسانية وبخاصة في العقائد الدينية التي تأخذ حيزاً أكبر في تحديد المسارات التاريخية ورسم مستقبلها، وتبقى سنن الدفع والمقاومة المسلحة على اختلاف ظروفها في حال وجود الدولة أو غيابها

وفي حال القوة أو الضعف وفي حال تهيؤ الظروف الدولية وعدمها، تبقى ساريةً فاعلةً لأنها تعبير عن الاحتكاك والتفاعل الاضطراري بين الجبهات المتصارعة على اختلاف استراتيجياتها وبناها المقاتلة وتوضعاتها المكانية ومقدراتها المادية.

فلا يسعنا عند المرور بالتاريخ إلا أن نسلم لسننه وقوانينه، وأن ندرك طبيعة الوجود البشري القائم على الصراعات في الوجود والمصير والمصالح، وأن نعتبر في ذلك القوى الكامنة في تلك الطبيعة والتي طالما انكشفت عبر الزمن بصورة حروبٍ وقتالٍ ومنازعاتٍ مسلحةٍ دمويةٍ.

وبنظرةٍ أخرى يمكن أن نشهد هذه الطبيعة بقوتيها الأساسيتين: قوة الخير والحق وقوة الشر والباطل، وهذا المشهد للطبيعة البشرية هو الذي يغلب على الصراعات الدينية، وهو ما تؤمن به الطائفة المجاهدة في هذا الزمان، من أن الحق في جهة التوحيد وأهله، وأن الباطل في جهة الكفر العالمي العربي والأجنبي على اختلاف ألوانه وأشكاله **{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً}**.

-

وقفةٌ أخيرة

جوهر الفكرة التي نصل إليها بعد عرضنا لدوافع أعظم حركةٍ كونيةٍ، أن المجاهد الذي يحمل سلاحه اليوم مدافعاً عن دينه وعقائده هو الإنسان الأكثر انسجاماً مع عمقه الروحي العقائدي، والأكثر انسجاماً مع محاكمته العقلية الجدلية، والأكثر

انسجاماً مع وجدانه وحسه الداخلي، والأكثر انسجاماً مع ارتباطه وتعلقه التاريخي والمستقبلي، فالكون كله مدفوعٌ نحو الصراع والاقتتال، وتأخير التفاعل مع هذه الحقيقة فكراً وعملاً هو إلغاء للوجود والذات بالتعرض لحمم تلك الصراعات دون أسبابٍ واقيةٍ ودافعةٍ، فمن ظن من أهل الدين والإسلام أن نجاته وربحه بعيداً عن خوض هذه الصراعات، ودون أخذ مكانٍ لائقٍ في ساحة المعركة ويفعل كما يفعل النعام يدفن رأسه بالأرض متعامياً الأحداث متجاهلاً متطلباتها وقت النوازل والملمات (كحال مرجئة الزمان)، فهو ساقطٌ في وهمٍ كبير، فإثم القعود والتخلف يجرُّ على أصحابه مثل هذه الأوهام الخدَّاعة المحتالة، ولو عايش هؤلاء الموهومون طرفاً من هذا الصراع بواقعيته، لاختلفت تقديراتهم وحساباتهم، ولكنهم يظنون أن النجاة تكون لأبدانهم وأجسادهم، وهم بعيدون عن لظى المعركة القائمة التي بدأ حرها يزعج الجميع، ويجهلون أو يتغافلون من أن الصراع العالمي الآن أصبحت ساحته الأرض كلها، أي أن ساحة الحرب قد صغرت وشرار الحرب المتطاير لا يعرف أوصافاً دقيقةً للإرهابيين المطلوبين على قلتهم، ولكن الهدف الأكيد والمعلن للحرب هو ضرب أيدلوجيةٍ محددةٍ ومعينةٍ في الشرق الأوسط خصوصاً وفي العالم عموماً، الأيدلوجية التي تقوم على أصولٍ إسلاميةٍ شرعيةٍ، قاعدتها التوحيد، ومنهجها الولاء والبراء، وطريقتها الجهاد والعنف الذي يلغي الآخر ويجعل الحكم والأمر والقضاء كله لله، فالصراع متوجه لأطرافٍ إسلاميةٍ كثيرةٍ غير مقاتلةٍ من العلماء والشيوخ والدعاة وطلبة العلم والمدارس والهيئات، فهذه الأطراف مع عدم دخولها في المعادلة العسكرية للصراع، إلا أن تكتيك العدو العسكري يفترضها عناصر محتملة التأهيل للدخول في هذا الصراع ولو بعد حين، فيقرر استئصالها من الآن (كبعد نظرٍ في أفقه العسكري والاستراتيجي) فهو يتعامل مع الصراع بالطريقة

السننية الصحيحة، وأما القاعدون لا يدركون خطورة التأخر عن هذه المواجهة التي تستهدفهم ولو من بعيد، عليهم أن يدركوا بعد عرضنا لمفهوم الصراع القائم على التوحيد وضروراته العقلية والحسية والتاريخية أن المفهوم الخرافي للتغيير لا مكان له في السنن الربانية، بمعنى أن تجلس في مكانك لا تواجه ولا تتخذ السبب المعتبر لحمايتك وحماية دعوتك ومنهجك، كما كانت الرسل تفعل بهجرتها من أوطانها ومفارقتها لقومها عندما لا تقوى على المجابهة وتحمل الأعباء المادية للصراع، وأما أن تبقى الدعوة في أحضان أعداءها من أهل الباطل فلا هي تريد مواجهتهم بشرف ولا هي تقي نفسها شرهم فذاك تعريضها للهلاك إما بفتنة أهل الباطل لها أو ببطشهم بها وقتما يريدون.

وهانحن اليوم نلمس بوادر الفتنة التي أصابت الكثيرين من المنتسبين للإسلام من العلماء والدعاة ـــ ومن دونهم من باب أولى ـــ فقد أصبحنا نسمع بعد الحروب الأخيرة في المنطقة من كان له محاضراتٌ وأشرطةٌ وتقريراتٌ لكثيرٍ من مسائل الحق ثم هو بعد تلك الحروب، أصبح بفكرٍ آخر وبمنطقٍ آخر، ولربما كانت أشرطته وتقريراته قريبة عهدٍ ليست ببعيدة، فلا عجب في ذلك والله عزّ وجلّ يقول **{وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً}**، فبعدما دخلت الحرب العالمية الحديثة على الإرهاب كل البلدان والأقطار والأقاليم، أصبحت الفتنة قريبةٌ إلى كل أحد من شراك نعله إليه، يقول تعالى: **{وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**، وثبات أهل الجهاد على توحيدهم وإخلاصهم لربهم في

هذا الصراع هو قامع تلك الفتنة بإذن الله ومزها من بلاد الإسلام الطيبة.

ولعله نكون وفقنا في بيان طريقتنا في القتال ودوافعنا المحرضة باختصار شديد وإلا فكثير مما ذكرناه يحتاج لأدلةٍ مسهبةٍ خاصةٍ يجدها طلابها في غير هذا الموضع، وعلى الله القصد وهو يهدي السبيل.

وكتبه أبو الحسن الفلسطيني

سائلاً مولاه الكريم فتحاً مبيناً ونصراً عزيزا

الفهرس

اللهم فكّ أسيرات المسلمين



الناشر: مركز الفجر للإعلام

ربيع الأول ١٤٣٢ هـ